إن الجيل الجديد المتحرر من كل عقد ورواسب الماضي الإمامي والاستعماري والتشطيري هو قوة الحاضر وعماد المستقبل.

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

ماذا حدث ليلة الثورة

لماذا تأخرت المدرعة

الحلقة الرابعة

ليلة انبلاج الفجر السبتمبري .. المعركة الحاسمة بين الحق والباطل

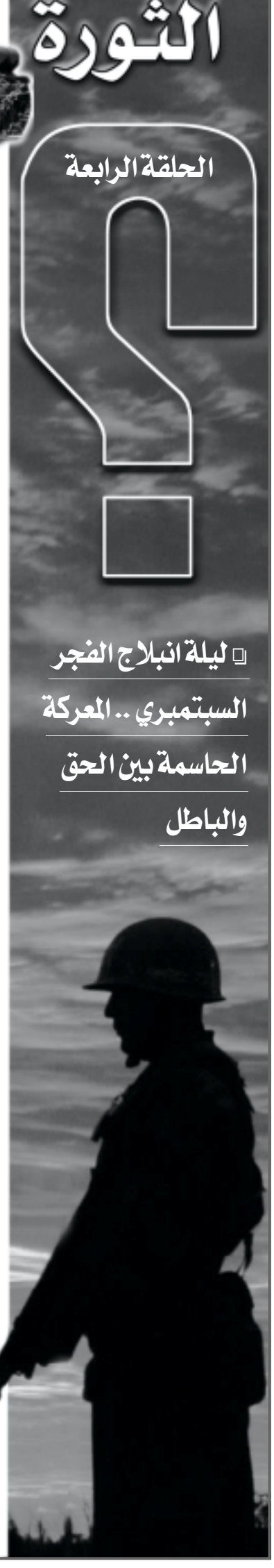

□ من المؤكد ان وفاة الإمام احمد في التاسع عشر من سبتمبر ١٩٦٢م وإعلان البدر الذي خلفه في الإمامة اعتزامه السير على خطى أبيه وتجاهل دعوات التغيير وزاد على ذلك بتوعد الرموز الوطنية والنيل منهم .. كل ذلك دفع بالضباط الاحرار الى التعجيل بيوم الخلاص وتقريب منازلة الطاغية وتخليص الشعب اليمني من شرور حكم كهنوتي مستبد كبل حياته بأغلال الجهل والفقر والمرض ووضع اليمن خارج سياق التاريخ.

أسبوع بدأ فيه العد التنازلي لانبلاج الفجر السبتمبري تجمعت فيه الارادة الحرة للخلاص من حكم بيت حميد الدين .. ، ونسجت خيوط الأمل القادم وتوديع الألم والظلم الى غير رجعة لينتهي بليله النزال الكبير الذي خلص الشعب من النظام الكهنوتي وفتح الابواب واسعة أمام عهد جديد ينتمي لروح العصر وقيام النظام الجمهوري المجيد.

وبالعودة إلى الأيام الأخيرة لحكم بيت حميد الدين وما رافقها من تحولات وإرهاصات قادت إلى الثورة المجيدة في السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م يلاحظ حجم العمل والأداء الذي قدمه كوكبة من الثوار والمناضلين وكان له الحسم في تفجير الثورة .. كما يلاحظ دقة التخطيط وحب الوطن وإيثار الأبطال في كل شيء من أجل الوصول بالثورة إلى نهايتها.

ورغم الامكانيات البسيطة التي كانت بحوزة الثوار والأجواء المشحونة بالتوتر والقلق من انكشاف مخططات الثورة إلا أن العزيمة الكبيرة والإيمان العميق بالتغيير مكن الضباط الاحرار من دك معاقل الإمامة واسقاط العرش الإمامي البغيض، وإعلان النظام الجمهوري في زمن قياسي عزز من قوته سرعة الهبة الشعبية في عموم اليمن والدعم السخي لاستمرار وبقاء اليمن الجديد عزيزا معافى وتمكينه من لفظ النظام البائد إلى الأبد.

وهكذا كان لابد للفجر أن يبزغ وللظلم أن يرحل تحت ضربات الأبطال الذين حملوا رؤوسهم على أكفهم وأبوا إلا أن يخلصوا للوطن والعدل والحرية وكان لهم ما أرادوا لترتسم معالم عهد جديد يكون فيه الشعب الحكم والحكم ولينطلق صوب مستقبل زاهر يجني ثماره حتى اليوم ، ولايزال يحث الخطى على دروب الأوائل من الرواد صناع الثورة والانعتاق من عهود الظلم والظلام والجهل الفقر والتخلف.

ونحن هنا إذ ننشر تفاصيل ما كتب عن ليلة الثورة الخالدة نستعيد بفخر واعتزاز الملاحم البطولية التي خاضها قادة الثورة وأبطالها والتلاحم الذي تحلوا به لصنع المستقبل الأفضل لهذا الشعب.. ولتعبر عن مدى حبهم للوطن ولكرامة الشعب الذي ظل يرزح تحت وطاة الحكم الكهنوتي لعقود.

كيف وضع تنظيم الضباط الاحرار سيناريو وخطة الهجوم على معاقل الطغيان أهداف التحرك والاستفادة القصوى من الامكانيات المحدودة وشل مواقع ومقار الإمامة ومخازن الاسلحة؟

والترتيبات ليلة الثورة؟ وكيف تم توزيع الأدوار لضمان نجاح الثورة وتحقيق النصر المؤزر وإعلان النظام الجمهوري؟ وأخيرا كيف سارت كل هذه الترتيبات والاجراءات ليصنع الضباط الاحرار خلود يوم السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م؟

كل هذه الاسئلة وضع الضباط الاحرار إجاباتها واقعا في السادس والعشرين من سبتمبر وسطروها بدمائهم وتضحياتهم وهي تضحيات حري بالأجيال أن تعرفها وتتعرف على أبطالها ومنهم الزعيم المشير عبدالله السلال والمناضل عبدالغني مطهر ونورد لاحقا ما كتبه السلال في كتاب وثائق أولى عن الثورة اليمنية في طبعته الثانية ١٩٩٢م وما سطره مطهر في كتابه (يوم ولد اليمن مجدده) في طبعته الثانية ١٩٩٠م.

يقول السلال: هذا وبينما كان البدر يوالي جلساته مع الخاصة من رجاله ويكيدون للثورة ورجالها ويدبرون توجيه ضربة للمشائخ الوطنيين تكون عبرة للآخرين ، إذا بالمقدم صالح الرحبي يصل الي يوم الأربعاء مندوبا من الضباط الاحرار ويخبرني بأنه تقرر القيام بالثورة هذه الليلة ، وطلب أن أكون على استعداد لقيادة هذا الحدث العظيم ونبه علي المقدم الرحبي ألا أغادر المنزل من الساعة التاسعة حتى وصول المدرعة التي ستقلني مع الضباط المرافقين إلى مبنى الكلية الحربية الذي وقع الاختيار عليه ليكون مبنى قيادة الثورة ، ويعلم الله أن هذا الخبر العظيم هو ما ظللت أحلم به منذ خروجي من سجن حجة كوسيلة لخلاص شعبنا من ليل الظلم الطويل الذي لفه بعجلة التخلف الرهيب وسجنه في عزلة جعلت من بلادنا سجنا كبيرا يتولى حراسته أئمة قساة وجلادون شداد غلاظ من أسرة بيت حميد الدين ، لقد هزني أولئك الرجال العظام الذين سقطوا مع قوافل الشهداء في مسيرة نضال شعبنا والذين كان حقا على الأحياء أن يفوا بالعهد ويؤدوا الأمانة التي عاهدوهم على الوفاء بها حتى تستقر أرواحهم التي أوهنها التعب من طول الانتظار لمثل هذا اليوم العظيم- في رحمة الله.

وقد أكد لي هذا الخبر العظيم المقدم حسين الدفعي الذي ركب معي السيارة ومعنا المقدم هادي عيسى اللذان التقيت بهما وقت الظهيرة ، ونزلنا معا حيث كرر على مسامعي ما سمعته من الشهيد الرحبي بضرورة التزام البيت في الليل حتى تصل المدرعة والمرافقون المكلفون بنقلي إلى مقر القيادة، أما آخر من أنبأني بالتوقيت فهو الاخ القاضي عبدالسلام صبرة الذي أرسل إلي الاخ محمد حسين صبرة يؤكد لي الخبر العظيم ، وذلك قبل مغادرتي لقصر البدر.

وبعد أن قمت بالمرور على الضابط الفدائي المقدم حسين السكري إلى مقري في إمارة الحرس وجدته متحفزا ومنتشيا وعلى أتم الاستعداد للقيام بواجبه وتنفيذ المهمة المقدمة التي أوكلت إليه ، ودعته ودعوت له بالنجاح والثبات ثم غادرت بعد ذلك دار البشائر إلى بيتي.

وهناك كتبت وصيتي وودعت اهلي واولادي على اساس انني ذاهب في مهمة خاصة للبدر الى تعز وطال انتظاري ولم تصل المدرعة حسب الاتفاق رغم أن الاشتباك بدأ بين الثوار والبدر وأنصاره ، الأمر الذي دفعني إلى أن اركب سيارتي الخاصة واتجه بها إلى القيادة ، غير أني صادفت المناضل المقدم عبدالله الراعي الذي نصحني بالعودة إلى بيتي حتى تصل المدرعة ، لأن النار الكثيفة التي يتبادلها الثوار مع البدر وأنصاره سوف تشكل خطرا على حياتي وعلى السيارة ، وأنه بدوره سوف يؤكد على المسؤولين بسرعة إرسال المدرعة.

واضطررت للعودة إلى بيتي بعد أن استحال تنفيذ خطة الوصول إلى القيادة بسيارتي الخاصة في وقت مبكر من بدء تنفيذ خطة الثورة، وفور عودتي اتصلت بالقاضي عبدالسلام صبره وحثثته على إرسال المدرعة فقال أنه يتصل باللواء جزيلان ويحثه على سرعة إرسالها، ثم اتصلت بعدها بالكلية الحربية فأجابني اللواء جزيلان بأنه لا توجد لديه مدرعة في الوقت الحاضر ولكنه سوف يرسلها عند وصول ضباط الدورية ، وهنا بدأت الشكوك تراودني وقلت في سري ربما يكون جزيلان منتظرا وصول اللواء حمود الجائفي من الحديدة ، وبنيت هذا الرأي على أساس الكلام الذي سمعته من البطل الشهيد صالح الرحبي قبلها بيوم واحد من أن الاخ عبدالله جزيلان والاخ المقدم احمد الرحومي سافرا إلى الحديدة ليحاولا مرة ثانية اقناع الاخ حمود بأن يطلع من الحديدة ليتسلم القيادة.

لكن ما كاد الليل ينتصف حتى توالت المكالمات التلفونية على بيتي ومنها مكالمة من الفريق حسن العمري يحثني فيها على التحرك إلى القيادة فأجبته أنني مازلت في انتظار المدرعة بعد ما استحال عليّ الوصول إلى القيادة بسيارتي ، ثم جاءت مكالمة أخرى من القاضي عبدالسلام صبره الذي قلت له أن المدرعة لم تصل حتى الآن ، ثم كان آخر المتكلمين تليفونيا العميد محمد عبدالواسع نعمان الذي حثني على سرعة الوصول لأن الموقف أصبح حرجا للغاية ، وبذلت من فوري محاولة ثانية بسيارتي لكنني لم اتمكن فعدت بالسيارة وسائقها محمد الحنبصي بعد أن أصيبت السيارة بعدة طلقات وكاد السائق البطل أن يموت لولا أن عاد مسرعا للبيت مرة ثانية ، وما زال والحمد لله على قيد الحياة حتى الآن.

ثم اتصلت بالكلية الحربية وكان الجواب في هذه المرة بأن المدرعة في طريقها إليك ومع هذا لم تصل إلا الساعة الرابعة صباحا قبل الفجر ، وكان عليها البطلان الشهيد المقدم صالح الرحبي والمقدم أحمد الرحومي ، وكان الموقف قد تازم بدرجة كبيرة وتوجهنا من فورنا إلى مبنى الكلية الحربية ، وقبل أن أروي ما قمت به في هذه اللحظات التي كانت فيها الثورة في غاية الحرج، لا بد من حل لغز المدرعة مع القارئ ، وذلك من خلال ما أورده جزيلان في كتابه حيث قال بأنه كان قد أرسل برقية للواء حمود الجائفي يحثه فيها على الوصول ليلة الثورة ولكن البرقية كما روى - ورواياته طبعا كثيرة- لم تصل . فإذا صح هذا ولم تكن هذه من رواياته الخيالية ، فمعنى هذا أن جزيلان كان غير مقتنع بقيادتي للثورة، أو أنه والله أعلم ، احتاط لذلك، وإلا فما معنى أن يخالف عبدالله جزيلان اجتماع التنظيم الذي بلغ إلي بواسطة القاضي عبدالسلام صبره والمناضل الشهيد صالح الرحبي وغيرهما ، ثم أكد ذلك البطل الشهيد علي عبدالمغني بأنه تم انتخابي لقيادة الثورة كما سبق وأوضحته، لقد ظهر ليلتها بأن جزيلان ولا أدري من معه كانوا يرجحون أن يقود الثورة حمود الجائفي ، وفي رأيي أنه لا فرق بين السلال أو الجائفي ، فهما زميلا كفاح وقد كانا ملتقيين على مواصلة النضال حتى يتحرر شعبنا وبلادنا من كابوس الإمامة الثقيل ، والدليل على صدق رأيي وصحة نظريتي أنه بعد مرور أربع وعشرين ساعة على قيام الثورة وصل اللواء حمود الجائفي من الحديدة وتوجه إلى قيادة الثورة فنهضت من كرسي القيادة وقلت له تفضل استلم القيادة فمكانك هنا وأنت أحق بها مني، ولكنه رفض وأصر إصرارا شديدا على التمسك بقيادتي ، وبارك قرار الإخوان الضباط الاحرار بانتخابي بالاجماع قائدا للثورة وأصر على الرفض والتمسك برأيه رغم مراجعة بعض الضباط الاحرار له بأن يتسلم القيادة.

والحق يقال إن هذا الموقف كان كريما ومشرفا للجميع ، والمبادرة كانت مني شخصيا ، ودون أن يقترح علي أحد- كما جاء في بعض الروايات - هذا وقد أكدت الأيام صدق هذه الرواية وانحل لغز المدرعة حتى الساعة الرابعة صباحا ، غير أنني أحببت لفت نظر القارئ إلى اختلاف الروايات في تحديد الوقت الذي وصلت فيه إلي القيادة، فجزيلان قال بأنني وصلت في الساعة الثامنة صباحا، وكتاب لجنة الضباط الاحرار قالوا في كتابهم بأنني وصلت الساعة السابعة صباحا ، أما الرواية الصحيحة والتي جاءت في شهادة المناضل المقدم احمد الرحومي والذي وصل بالمدرعة ومعه البطل الشهيد صالح الرحبي إلى بيتي فقد قال بأنهم وصلوا إلي قبل الفجر ، وهذه هي الرواية الصادقة ، ولا أدري كيف أفسر اختلاف الروايات ولكن اترك للقارئ اللبيب تفسير هذا التناقض الغريب.

وأما أول عمل قمت به فهو الاجتماع الذي عقدته مع بعض أعضاء الثورة الذين كانوا متواجدين في القيادة وهم: المقدم ناجي علي الأشول واللواء عبدالله جزيلان والمقدم عبداللطيف ضيف الله والشهيد البطل علي عبدالمغني حيث استعرضنا الموقف العسكري من جميع جوانبه والمشاكل التي واجهت الثوار ليلتها وادت إلى احرج المواقف وستؤدي لو استمرت إلى خطورته ، وكان أهمها امتناع المسؤولين عن قصر السلاح عن فتح الباب لتموين مواقع الثوار بالذخيرة التي أوشكت على النفاد ، أما ثانيها فهو احتلال اميري الجيش المظفر والدفاعي لثكنة المدفعية بعد أن كان الثوار مكلفين بقيادة المقدم حمود بيدر باحتلالها، وقد نفذوا التكليف واحتلوها والسيطرة عليها ولكنهم اعتقلوا بعد وصول اميري الجيش وسيطرة الاميرين مع قائد المدفعية عليها ، ثم بدأوا يهددون الثوار في الكلية الحربية المواجهة لثكنة المدفعية ، أما ثالثها فهو موقف فوج البدر الذي بدأت الرسائل تنهال عليه من البدر تباعا وإلى بعض ضباط الجيش المظفر والدفاعي ، وكان الخوف من الفوج أن يستجيب لهذه الرسائل فيهاجم مبنى الكلية الملاصق للثكنة ، وبعد تدارس الموقف بدأت الاتصال بالمسؤولين في قصر السلاح بواسطة التلفون ، وأمرتهم بأن يفحوا الباب ولكنهم أجابوني بأنه لا يمكن أن يفتحوا الباب إلا بأمر تحريري مني، وقمت بتحرير الأمر ووقعته باسم امير الحرس ولكنهم رفضوا أولا بعذر أن الأمر لا يمكن أن يصدر إلا من الإمام كما هي القاعدة التي أسسها الطاغية أحمد بعد فشل ثورة ١٩٤٨م حينما احتل عبدالله الوزير القصر في الظهيرة ، وتأسست بعدها قاعدة عدم فتحه إلا بأمر من الإمام نفسه ، فكيف يفتحون القصر في الليل؟

وهنا كان المأزق الذي صادف الثوار وصادفني في الوقت نفسه ، وذلك بالرغم من وجود دبابتين كانتا تراوطان في بابي قصر السلاح ، ومحاولة الضباط الاحرار المكلفين باحتلال قصر السلاح وفتحه بالتفاهم مع المسؤولين في القصر ، لكن النتيجة كانت الرفض ، وهنا سؤال منطقي وهو :ماذا تستطيع دبابتان والقوة التي كانت معهما أن تصنع أمام قصر السلاح وموقعه الاستراتيجي المتميز والقوة الضاربة التي أخذت وضع الاستعداد في مواجهة الثوار؟! ثم قررت الذهاب إلى فوج البدر والاسئلة تدور في ذهني بدون إجابة، واجتمعت هناك في مقر الفوج بمن كان يوجد فيه من الرفقاء وبحثت معهم موضوع تسلمهم لرسائل البدر ونصحتهم بأن لا يقوموا بأي عمل مضاد للثورة ، طالما أن البدر قد استسلم وأمرني بأن أنصحكم بالاستسلام ، ولكن رأيي الشخصي ونصيحتي لكم هو أنكم أولا من الجيش وإليه وهذه الثورة هي ثورة الجيش فأجابني بعضهم: كيف تقول أن البدر قد استسلم وهذه الرسائل التي وصلت منه قبل ساعة يحثنا فيها على الصمود وضرب هؤلاء الذين أحدثوا الفتنة؟ فقلت له أن هذه الرسائل قد حررها قبل وصولي اليكم ، وهل أنتم واثقون من كلامي وأنا الذي كنت المسؤول عليكم قبل رحيلي إلى الحديدة لاستلام الميناء؟ وهنا اوقفوني وقالوا: إذا كان الأمر كذلك فنحن من الجيش وإليه.

والغريب في هذه القصة هو أن الضباط المسؤولين عنهم من الشباب من أمثال البطل محسن حباشي والبطل علي عنقاد والبطل عبد الرحمن الترزي وغيرهم الذين كانوا قد انضموا إلى الثورة مع الضباط الاحرار كانوا قد سحبوا ليلتها كل الاسلحة والذخيرة التي كانت موجودة في المستودع إلى جانب الدبابات والمدرعات ، ومع هذا فالجنود الذين لايعلمون بشيء أو أن ضباطهم لم يخبروهم كانوا يخشون أن يقفوا موقف المعارضة للثورة ومحاولة مقاومتها.

لكن يبدو أنني خرجت من عندهم وقد أظهروا الامتناع ، ثم عدت بعدها إلى مبنى الكلية ومقر القيادة لأحاول ثانية مع مسؤولي قصر السلاح والتزمت لهم بأنني المسؤول فيما يحدث من مسؤولية بعد هذا ، وظهر أنه لا فائدة من المحاولات بينما ما زال أمراء الجيوش على موقفهم في مبنى المدفعية ومعهم امير لواء المدفعية ، مما يهدد مقر القيادة التي تقف مكشوفة امام المدفعية ، والمواقع التي احتلها الثوار تطالب القيادة بإرسال الذخيرة في الوقت الذي بدأت فيه قوات الحراسة في قصور الإمام والسيوف من أولاده واحفاده وأذنابهم وعملائهم يطلقون النار ويصوبون الرصاص على مواقع الثوار ومعهم بيت زبارة الذي كان مسيطرا على القيادة.

وقد تمكنا من إسكاتهم بطلقتين من مدافع الدبابات وفكرت كيف يجب الخروج من هذا المازق الحرج الذي لو استمر بضع ساعات فقد ينهي الثورة وينهيني معها ، وقبل أن اتعامل مع رئيس الاستئناف والمرتبين الذين كانوا في بيته يطلقون النار ويتكاثرون في كل ساعة بعد أن تطورت الرماية من البندقية إلى الرشاش ، وجمع كبير من أهل صنعاء قد بدأوا التجمع حول الكلية وانتشر معهم بعض الجواسيس والأذناب الصغار الذين كانوا بالطبع يبلغون أسيادهم بموقفنا ساعة بساعة، قلت للزملاء : ولماذا لا نرسل لرئيس الاستئناف من يستدعيه باسم البدر إلينا ونحتجزه ثم نعلن بأنه أعدم؟ وما دام الجمع المحتشد الآن حولنا من أهل صنعاء فأنا كفيل بهم لما اشتهر عنهم من اطلاق الاشاعات والارجاف فإنهم سوف يبالغون في القصة ويزيدون عليها ، وهذه سنة جبلوا عليها من قبل مئات السنين ، وقد قال عنهم المؤرخ الكبير أبو الحسن الهمداني قبل ألف سنة (ما رأيت كأهل صنعاء يرجفون على أنفسهم) ويظهر ان الله تعالى قد أذن للمعجزة ان تتحقق بوصول رئيس الاستئناف مع المجموعة التي ذهبت لاحضاره.

وبينما كنت استجوبه عن مصدر الرماية إذا برصاصة القدر تنطلق على صدره ويموت بعدها ومعه ابنه الذي أصر على مرافقته رغم تحذير المجموعة له، وما أن شاهد أهل صنعاء مصرعه مع ابنه حينما نقلت جثتاهما إلى خارج مبنى القيادة حتى فزعوا وفروا وبعضهم يصيح بأعلى صوته: انهم يطلقون الرصاص على كل من يعترض او يقاوم الثورة ويدعون الناس إلى الهروب

السلال: أبلغني الرحبي بموعد الثورة وطلب أن أكون على استعداد لقيادة الحدث

المشير/ عبدالله السلال

عندما نهض السلال من الكرسي وطلب من الجائفي تسلم القيادة